ـــ أرجوكم أرجوكم ، أيها الشباب ، أرجو أن تستدعوه هنا لأتحدث اليه .

احضروا مرزوق ، شاب في الثلاثين من عمره ، عيونه حمراء ، كالكلب المسعور ، يسيل لعابه من زاويتي فمه ، كان بالفعل يختلف عن كل ابناء القرية . وقدموه لي على انه ناطور الارض ، وضعه الافندي لحراسة الارض وهو يسكن في البيت المبني على جزء من الارض المشجرة ويتقاضى خمسة وأربعين دينارا شهريا .

ـــ ماذا بك يا مرزوق ، سألته .

ـــ أريد أن اتصل بالحاكم العسكري ، فلدي تعليمات منه شخصيا بأن أتصل به اذا ما حاول أحدا دخول الارض .

ـــ أنت كاذب يا مرزوق ، لو ان موضوع بحثنا عملية فدائية ، لصح حديثك ، أما وان الخلاف حول ملكية قطعة الارض ، فليس ذلك من اختصاص الحاكم العسكري ، ربما تستطيع أن تخيف البعض بالحاكم العسكري ، ولكنك لا تخيفني .

ـــ هذه تعليمات علي أن أنفذها ، وسأتصل به حالا . وحاول النهوض من مكانه . وقبل أن يقف على رجليه كان الشباب قد أوصدوا الباب بأجسامهم ، ونهض اليه الحاج أبو محمد ، الذي كان أحد قادة ثورة ١٩٣٦ ، وما زالت آثار الرصاص تشوه حنكه بعد أن اخترقت رصاصة وجنتيه ، ويده اليمنى شبه مشلولة من رصاصات اخترقتها من عدة امكنة . وصاح به : اجلس ، يا ولد ، اقسم بالله اذا لم « تغير وتبدل » سأقتلك في ليلة وأضعك في كيس وأرميك في أحد الوديان . ونظر أبو محمد الي ، وكأنه يستأذن مني تنفيذ حكم الاعدام عليه أمام الجميع ، بعد أن أثنى على اقتراحه كل من كان يجلس في الديوان .

ـــ يا مرزوق « اسمعلي » أرض الافندي هذه ستباع للصهاينة ، وأنت أول من سيطرد منها ، ماذا يفيدك لو أصبحت مالكا لأحسن جزء من الارض ، وهي التي تحيط بالمنزل الذي تسكنه ، وكلها كما تعلم مشجرة ، وتصبح مالكا للبغل الذي تحرث عليه ، وتصبح في « ارضك » أنت بدلا من أن تكون مجرد حراث في أرض الافندي . واذا لم يعجبك ذلك فانني سأضمن لك عملا دائما في البلدية تعتاش من ورائه طوال حياتك .

وغير مرزوق لهجته ، واعتدل في جلسته براحة تامة ، ورد قائلا كالحمل الوديع ، كما تريد ، أنا أمرك يا أبو صالح .

ـــ الم أقل لكم ان مرزوق رجل طيب ، وهو لن يخرج عن اجماع أهل القرية ، واستطردت موجها كلامي للجميع ، يجب أن تشكل جمعية تعاونية تضم كل أهل القرية ، ويدفع كل فرد خمسة دنانير ، لاستثمار الارض ، ولنبدأ بالدفع حالا ، فلا مجال للتأجيل .

وبدأت عملية المساهمة عشرة دنانير وانهالت الدنانير علي . صحت قائلا مهلا أيها الاخوان ، فلنسجل الاسماء ، ولننظم عملنا ، فهذا شرط للنجاح . وبدأت عملية الدفع والتسجيل ، ومن لم يكن بينهم يحمل نقودا ، خرج ليأتي بها من زوجته حيث تخبئها . وتجمع أكثر من ألف دينار .

ـــ من تأتمنون من بينكم ؟ انتخبوا لجنة من بينكم .

ـــ ولو من نأتمن غيرك يا اخ أبو صالح .